عين المدينة

نبنيـــها معاً

www.3ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

في المدينة...

- موسم القطن في خطر! ص5
- القنابل غير المنفجرة ص6-7
- منظمة روافـد الخيرية ص9
- شهاداتٌ من المجزرة ص10-11
- الكتائب الفقيرة ص12
- الإسلام وحقوق الإنسان ص13
- السرّاج: مؤسس القمع السوري ص16
- صراعات الشبّيحة ص17-18

عين المدينة | العدد (13) | 1 تشرين الأول 2013

مجلة نصف شهرية مستقلة

عامٌ على المجزرة المنسيّة

لأرواح المجهولين الذين أُحرقوا وهم أحياءٌ، أو أُعدموا ووجوههم إلى الحيطان في مجزرة حيّي الجورة والقصور. العام الفائت. وغيرهم من شهداء دير الزور وسورية، دعاءٌ بالرحمة والقبول.

ولأرواحهم أيضاً أمانةٌ في أعناق الثوار، من مدنيين وعسكريين، بأن يجلبوا القتلة إلى العدالة، ولو بعد حين، ليُسأل هؤلاء المجرمون: لماذا قتلتم الطبيب الشاب حيدر الفندي؟ ولماذا أعدمتم مدرّس الفلسفة إبراهيم خرّيط في بيته مع ابنه، وألقيتموه ليأكل الدود من فروة رأسه لعدة أيام، بعد أن عجز ذووه عن دفنه؟

وكيف استطعتم أن تلتقطوا الصور التذكارية وأنتم تتسلّون ضاحكين بتعذيب الضحايا وإجبارهم على الهتاف لرئيسكم المراهق، قبل إفراغ نيران بنادقكم في أجسادهم العزلاء؟ وكذلك يجب أن يُسألوا: ألم يعلمكم أحدٌ بعض الهيبة وبعض الجدّ أمام مشهد الموت وخروج الروح من الأجساد؟

لا جواب حتماً سينطق به القتلة. وربما ليس الجواب مهمّاً من كائناتٍ لم تعد تربطها بالحياة البشرية رابطةٌ سوى الغرائز بأشدّ صورها انحطاطاً.

واليوم، وبعد عام على المذبحة، لم يتمكّن السفّاح المريض بشار الأسد، بكل القوّات التي زجّها في المعركة، من إحراز شيءٍ على الأرض. بل على العكس، فقد تمكّن الثوار من فكّ الحصار الخانق الذي أطبق على المدينة لأشهرٍ عديدة، وتمكّنوا من تنظيف كامل الريف المحرّر من الجيوب الباقية لقوات الاحتلال، لتستقرّ معادلة الصراع على حقيقة أن المناطق الشاسعة المحرّرة من دير الزور لن تعود مرةً أخرى إلى قبضة الأسد.

نزع الكـيماوي.. ثم جينيف 2... وللأسد حـرية القـتل

هيئة التحرير

نظرت غالبية القوى الدولية إلى قرار مجلس الأمن الصادر منذ أيام، بخصوص نزع السلاح الكيماوي من يد نظام الأسد، على أنه انتصارٌ أممي، كلٌ من وجهة نظره. إلا أن الأوضح، من خلال تصريحات زعماء ووزراء خارجية الدول المؤثرة في الملف السوري، أن هذا الانتصار كان انتصاراً لتوجّه تلك الدول ولدبلوماسيتها. فلافروف، رغم تحفظه على اتهامات الكثير من الأطراف للأسد باستخدام الكيماوي، اعتبر ما وصل إليه مجلس الأمن طريقاً نحو عقد مؤتمر جينيف 2 للسلام في سورية. بينما رأى أوباما أن الحقيقة الأهم فيما حصل في مجلس الأمن أن بلاده توصلت إلى إجبار الأسد على القبول بنزع الكيماوي نتيجة التهديد بالضربة العسكرية.

وجوب إزالة السلاح...

بعد جريمة نظام الأسد الكبرى باستخدام السلاح الكيماوي في الغوطة الشرقية والغربية، في 21 آب الماضي، توصلت الأطراف الدولية إلى قناعةٍ مفادها أن إزالة هذا السلاح هي الحل، وهي التي تضع الخطوات الأولى نحو اتفاقية سلام. وقضية السلام، وفق المؤتمر المزمع عقده، من وجهة النظر الروسية والأوروبية وحتى الأمريكية، هي تجنّب الحرب وفرض العقوبات العسكرية المباشرة على نظام الأسد، أكثر مما هي تجنيب المدنيين السوريين طغيان النظام.

فسحب السلاح الكيماوي من يد النظام السوري لم يلغِ حملاته اليومية بمختلف أنواع الأسلحة على المدنيين، والاستخدام اللاكيماوي اليوم بات . من وجهة نظرٍ غربية . جزءاً من حربٍ على الأرض السورية أكثر مما هو جريمةٌ يرتكبها النظام تجاه شعبه. والخطاب الأمريكي، الذي تبدّى قبل وخلال وبعد انعقاد جلسة مجلس الأمن الدولي، آخر أيلول الماضي، يُظهر أن المشكلة هي نوعية السلاح المستخدم، وضرورة نزعه، بينما لم يتمّ تناول السلاح الآخر بأكثر من جمل إدانةٍ على لسان بعض المسؤولين، الذين لم ينسوا تسويق دعاية الأسد بحربه ضد الفصائل السلفية المسلحة.

كلمة الفصل الروسية

لم تتوانَ القيادة الروسية عن فرض شروطها خلال اجتماع مجلس الأمن، تمهيداً لتلكؤ وعدم جدّية النظام السوري بتسليم السلاح الكيماوي. فوضعت منذ الآن خططاً بديلة، بدأتها بما قاله وزير خارجيتها بأن أي اتهام ضد دمشق يجب أن يتم التحقّق من صحّته بعنايةٍ من جانب مجلس الأمن، وإثباته مئة بالمئة قبل تصويت الأمم المتحدة على أية عقوبات، التي يجب أن تكون متناسبة مع الانتهاكات. ولم يغب عن بال الدبلوماسي الروسي الأقرب إلى نظام الأسد أن يسعى، بكل ما أوتي من قوة، لإعاقة قرار إمكانية فرض عقوباتٍ من مجلس الأمن في حال لم يلتزم نظام الأسد بتسليم السلاح، لكن هذه العقوبات لن تكون تلقائية، ما يتيح لموسكو تعطيل أي قرارٍ لاحقٍ من جديد.

الائتلاف الوطني.. القرار المتأنّي

يتخبّط الائتلاف اليوم بين عدة معادلات، يصعب عليه اتخاذ أي قرارٍ حقيقي بشأنها، بدءاً من معادلة الداخل وإشكاليةً المناطق المحررة مع تنظيم دولة الإسلام في العراق والشام، ثم تشكل جيش الإسلام، ووصولاً إلى عدم وضوح القرار فيما يتعلق بمؤتمر جينيف 2. فالمشاركة وعدمها يعتبران قرارين كبيرين في ظل التراخي الدولي والميل الأممي نحو نظام الأسد، خاصة بعد اجتماع مجلس الأمن الدولي. فما طلبه الجربا من المؤتمر هو أن يكون "واضح الأهداف"، وأن لا يتحول إلى "حوارٍ لانهائيٍ مع نظام الأسد".

ومن جانبه، لا يخفي بان كيمون، أمين عام الأمم المتحدة، تفاؤله بجينيف2، وعدم قلقه من مسيرة العملية السياسية حول سورية. بينما لا يبتعد محللون عن رؤية واقع المؤتمر من اليوم، حينما سيرفض نظام الأسد محاور محدّدة أو أطرافاً معينة تجلس في مواجهته على طاولةٍ لم يعتد الجلوس إليها أبداً، وسيتعالى عليها، خاصةً بعد ضماناتٍ بالجملة بعدم التدخل العسكري ضده.

جبهاتُ الثورة بين أخذٍ وردّ...

هيئة التحرير

تقدّم الجيش السوري الحرّ ومجمل الفصائل الثورية في عدة مناطق سورية، مقابل التراجع في مناطق أخرى، فيما استمرّت جبهات درعا وريف حماة في رسم خرائط جديدة للسيطرة على الأرض. فقد تابعت كتائب الحرّ تقدّمها على صعيد الريف الغربي والشرقي والجنوبي لمحافظة درعا، بمزيدٍ من السيطرة على قرى ومراكز تجمع وقطع عسكريةٍ تابعةٍ للنظام. ويبدو أن المخطّط العسكري للحرّ هو محاولة فتح طرق وصلٍ بين المناطق المحررة وصولاً إلى مركز مدينة درعا. إذ شهدت الأيام الماضية تقدماً واضحاً في محيط عتمان وفي الريف الغربي للمحافظة، وبالقرب من مركز المدينة، مقابل محاولاتٍ واضحةٍ لجيش النظام للحفاظ على مناطق التمركز الأساسية، التي فُرضت عليه خسارةُ واحدةٍ من أهمها، وهي جَمرك درعا، خلال الأيام الماضية.

وفي ريف حماة، حيث الجبهات الأكثر اشتعالاً في المنطقة الوسطى، يتّضح امتداد السيطرة على الريف الشمالي والشرقي والتقدم في الغربي. فما حققه الجيش الحرّ من تقدم في منطقة كرناز ومحيطها يمهّد الطريق نحو إيصال الإمداد إلى مختلف جبهات الريف الشمالي للمحافظة، إضافة إلى تشديد الحصار حول مورك باتجاه طريق حلب. فيما يبدو أن التقدم نحو السقيلبية ومحردة، وصولاً إلى قصف سلحب وسواها بالقرب من مصياف، خاصةً بعد السيطرة على طريق شيزر؛ هو ضمن مخطط الاقتراب من مراكز التجمع العسكرية الرئيسية في حماة، وفي البيئة الحيوية للنظام بسهل الغاب.

دمشق ومعارك نقاط التماس

يحافظ الجيش الحرّ في محيط العاصمة وغوطتيها الشرقية والغربية على مناطق السيطرة، رغم القصف المركّز والشديد والحصار المتواصل على مختلف مناطق ريف دمشق، وبخاصةٍ في جبهة المعضمية بالريف الغربي وفي جبهة المليحة في الشرقي. فقد باءت محاولات الجيش النظامي لاستعادة السيطرة على المعضمية وفتح الطريق نحو داريا بالفشل، ابتداءً باستخدام الكيماوي ووصولاً إلى الحصار الغذائي والقصف المتواصل من القطع العسكرية المحيطة بالمدينة.

وتحاول قوات الجيش الحرّ، وبشكلٍ يومي، السيطرة على حاجزي النور وتاميكو بالقرب من المليحة، سعياً وراء تحقيق نصرٍ استراتيجي مهم في الريف الدمشقي، وهو السيطرة على مقرّ المخابرات الجوية في المليحة، ووصل الغوطتين الشرقية والغربية، اللتين تعتبر جرمانا المكان الاستراتيجي الأهم بينهما.

الشمال... خسائر خناصر ومكاسب السفيرة

كان تقدّم الجيش النظامي في محيط بلدة خناصر منذ أيام بمثابة خطوةٍ جديدةٍ باتجاه حلب. إلا أن الثقل العسكري الذي وضعه جيش النظام في المنطقة لم يمكنه من استعادة السيطرة على طريق حماة، إذ ما زالت قوات الحرّ تسيطر على أكثر من 3 كم من الطريق الذي يعتبر أهم طرق الإمداد الرئيسية التي كانت معتمدة لدى النظام. كما أن حصار معامل الدفاع في محيط السفيرة، والسيطرة على غالبية المنطقة وريفها أيضاً، ينبئان بتقدم للحرّ خلال الأيام القادمة، مما يجعل المعركة في الريف الجنوبي لحلب معركة سيطرةٍ على خطوط الإمداد، ويزيد من عنف المواجهات في الريف الشمالي لحماة.

ولا تختلف الصورة في إدلب عما هي عليه في حلب، فسيطرة النظام على أريحا ومحاولات الحرّ استعادتها مع جبل الأربعين، هي بهدف استعادة السيطرة على خطوط الإمداد الرئيسية التي قد تفتح الأبواب من جديدٍ للمعارك شمالاً في إدلب المدينة وجنوباً في ريف اللاذقية.

ولا تبرز أي تطورات كبيرة على جبهات المعارك في محافظة دير الزور، رغم نشوب بعض الاشتباكات الصغيرة، وخاصة على جبهات الصناعة والرصافة داخل المدينة، وفي محيط المطار العسكري وأسواره الشرقية في ريف المحافظة.

صعوبات العمل الطبّي

في الأحياء المحرّرة من دير الزور

عمر ظافر

ينبض الجزء المحرّر من دير الزور اليوم بالحياة، بفضل سواعد أبنائه الصامدين داخل هذه الأحياء. ولعل الكادر الطبي العامل ضمن المدينة أحد أهم المساهمين في عودة الحياة إليها. فمنذ أكثر من سنة ومشافي المدينة تُستهدَف وتتعرض للقصف المستمر، إلا أن ذلك لم يثنِ من بقي من أطباء وممرضين عن القيام بواجباتهم ومهامهم الإنسانية.

في دير الزور اليوم مشفيان فقط تستقبلان الجرحى والمرضى، مع وجود بعض المشافي الميدانية في الأحياء وبعض النقاط الطبية القريبة من جبهات القتال. هذه المراكز والنقاط تقدم الخدمات الطبية الإسعافية، فيما تقوم المشفيان الوحيدتان بتقديم أغلب الخدمات الطبية، من عمليات جراحية متوسطة وصعبة ومعالجة للأمراض المزمنة والسارية.

مشاكل العمل الطبي

عاينت "عين المدينة" واقع العمل الطبي، ووقفت على المشاكل التي تعيق الكوادر الطبية خلال عملها النبيل. ولا شك في أن النقص في التجهيزات والمواد الطبية يعد من أكبر مشاكل العمل الطبي في أي منطقة، لكن أبو جميل، أحد العاملين في المكتب الطبي الموحد، حدثنا عن مشاكل يعتبرها أبرز ما يعرقل العمل الطبي داخل المدينة.

يقول أبو جميل: "الاعتداءات التي يتعرض لها الكادر الطبي من قبل أفراد الجيش الحر المسيئين، وما نسمعه ونواجهه من إساءات من بعض المدنيين؛ يجعل من تبقى من أطباء وممرضين يفكرون بترك العمل داخل المدينة. وللعلم أنه لا يوجد في الأحياء المحرّرة حالياً سوى ثلاثة أطباء؛ الأول طبيب جراحة فكية، والآخر عينية، والثالث أخصائي جراحة".

يضيف أبو جميل: "إن عدم وجود إداريين مختصين بإدارة المشافي والمراكز الطبية أدى إلى مشاكل بين المسؤولين والكادر الطبي، وحرمان بعض العاملين من مستحقاتهم المالية. كما أن خروج الأطباء بشكل جماعي من المدينة، وإخراجهم للأجهزة والمعدات الطبية التي كانت موجودة في عياداتهم، جعل مسألة النقص تزداد تفاقماً. هذا دون أن نتكلم عن استهداف الكادر الطبي والمراكز الطبية، الذي يسهم في تردي الأوضاع".

عملٌ دؤوبٌ وجهودٌ طيّبة

ورغم ذلك الكم الكبير من المشاكل والعراقيل، إلا أن الكادر الطبي داخل دير الزور يعمل بكل ما يملك من إمكانات. فهو يقوم بإسعاف الحالات الحرجة التي لا تحتمل الانتظار حتى خروجها من المدينة، كما يقوم بإجراء العمليات الجراحية المتوسطة وبعض العمليات الصعبة، وفق ما يتوفر لديه من أجهزة ومعدات وأطباء مختصين، ويقدم أيضاً الخدمات الطبية لأغلب الأمراض المزمنة والسارية والمعدية. ولأن المشافي لا تستوعب الكثير من الحالات، وكون القصف لا يتوقف على المدينة، وخاصةً مع خطر الاستهداف المباشر للمستشفيات؛ فإن جميع الحالات، مهما كانت طبيعتها، يتم إخلاؤها من المشافي إلى خارج المدينة حفاظاً على سلامتها، وذلك بعد أن تتم معالجتها والتأكد من تحسن وضعها الصحي.

دير الزور مشفى النور | عدسة سعد | خاص عين المدينة

التحديات القادمة والاستعداد لها

يشرح أبو جميل لـ"عين المدينة" أبرز التحديات التي يستعد لها الكادر الطبي، فيقول: "أمام الكوادر الطبية في المدينة تحدياتٌ كثيرةٌ أبرزها اشتداد المعارك وتقدم الجيش الحر على أغلب الجبهات، مما يؤدي إلى ازدياد القصف واستهداف المدنيين كفعلٍ انتقامي، وهذا ما يستوجب منا أن نكون مستعدين لاستقبال الكثير من الإصابات في بعض الأحيان. وجاهزيتنا تتبع لما نملك من تجهيزاتٍ ومعدّاتٍ طبية، والأهم وجود الأخصائيين. وهناك أيضاً مسألة استخدام السلاح الكيماوي من قبل النظام، وما يمكن أن تقدمه الكوادر الطبية في حال وقع ذلك لا قدر الله. وللأسف أقول إن أغلب الكوادر الطبية لم تتلقّ الدورات الإسعافية اللازمة للإصابات الكيماوية، كما أننا لا نملك العلاج والألبسة الواقية من هذه المواد".

ومقارنةً بين الوضع الطبي قبل تحرير حي الحويقة وبعد التحرير، فإن عدد المصابين أصبح في تناقص بعد تأمين معبر الموت. ولكن، رغم تأمين الجسر، ما زال أغلب أطباء المدينة خارجها، وهم الذين كانوا يتذرعون في السابق بأن الطريق غير آمن. وعن أولئك يقول أبو جميل: "سينالون الحرية، لكنهم لن ينالوا الكرامة".

قطن دير الزور في خطر

م. بلال عبد القادر

عدسة بلال | خاص عين المدينة

بحزنٍ كان يتحدث عن أرضه في "السوسة"، القرية التي ارتبط اسمها في مخيلة أهل "الدير" بالرمّان. لكنه، وهو الفلاح الفراتي الشاب، ربط أرضه الصغيرة بمحصول القطن، وربط مستقبله بموسمه الوفير في السنوات الماضية. الشاب "هاني الخلف"، من ناحية "السوسة"، تحدث عن تراجع زراعة القطن في قريته لهذا العام، أسوةً بالأراضي الزراعية الأخرى في ريف دير الزور.

حاول هاني أن يحدد الأسباب التي أدت إلى مردودٍ هزيلٍ لمحصول القطن هذا العام، مفصّلاً إياها في حديثه: لعل أهم تلك الأسباب هو الارتفاع الجنوني لأسعار الأسمدة الزراعية. إذ يلزم للدونم الزراعي الواحد كيسان من السماد (يوريا 46)، يصل سعر الكيس الواحد منها إلى 5000 ليرة. كما أن حاجة محاصيلٍ أخرى إلى نفس نوعية السماد، مثل الخضار والفواكه الصيفية، قد تتسبّب في ارتفاع سعر الكيس إلى 9000 ليرة. وهو ما يساوي عشرة أضعاف سعره قبل الثورة، حين كان يباع بـ 900 ليرة فقط.

وهو ما ينطبق على كافة الأصناف الأخرى من الأسمدة الزراعية. بالإضافة إلى غلاء المبيدات، التي يحتاجها محصول القطن لهذا العام أمسّ الحاجة، نتيجة انتشار الإصابات الحقلية. كما واجهتنا مشكلة الحصول على المحروقات، وخاصة مادة المازوت، مما أدّى إلى رفع تكلفة حراثة الدونم الواحد من 500 ليرة إلى 2000 ليرة في بعض المناطق. وارتفاع تكاليف صيانة المحركات الزراعية حوالي 5 أضعاف تكلفتها السابقة، فمثلاً زيت المحركات عيار 40 كان سعره 100 ليرة، بينما أصبح سعره الآن 750 ليرة. وأخيراً صعوبة تأمين قطع غيارٍ لهذه المحركات.

وهذا كله ينصبّ ضمن ما يمكن تسميته بسياسة العقاب الجماعي لفلاحي المنطقة، والتي تبيّن لنا، بلا أي عناء، رغبة هذا النظام في إرهاق الفلاح والحدّ من إنتاجية الأرض الزراعية لديه. فعموم ريف دير الزور تقريباً يعتبر من المناطق المحررة.

أما عن موضوع التلوّث في المنطقة بسبب التكرير العشوائي للنفط الخام، فقد أدّى إلى مشاكل كبيرة، حال دون إمكانية معالجتها بشكلٍ جيدٍ تضييق النظام على الفلاحين في المنطقة، وصعوبة الحصول

على المبيدات وغلاؤها. وحدثنا عن ذلك السيد "حسين الجدعان"، وهو مزارعٌ من أهالي قرية "مرّاط"، ورئيس اللجنة العليا للتربية بالمحافظة، بالقول: تسبّب التلوّث النفطي في منطقة الفرات، وما ينبعث من عملية التصفية العشوائية للنفط، بالعديد من الإصابات الحقلية، مثل "دودة القطن"، وكذلك كثرة حشرة "المن"، بالإضافة إلى أن بعض النباتات قد ماتت قبل طور الإثمار، وبعضها لم يحمل الأجراس بسبب التلوث.

ولا تنتهي معاناة الفلاح عند جني محصوله الضئيل، بل تتواصل لتمتد إلى صعوبات التسويق وتصريف الإنتاج. ويواصل "الجدعان" حديثه قائلاً: هناك مشكلة كبيرة عانى منها الفلاح خلال هذا الموسم، فقد بدأ الآن قطاف القطن دون وجود سوقٍ لتصريف المنتجات، بسبب حرق المحلجة في الشهر الثاني من العام الحالي 2013، والتي كانت أساس تصريف منتجات الفلاحين من الأقطان، مما يجبر الفلاح على بيعه للتاجر الذي يورّده بدوره للنظام، ويدخل الفلاح في دائرةٍ من الاستغلال، تزيد من أثقال كاهله المثقل أصلاً.

وعن الإجراءات التي يراها "الجدعان" مطلوبةً لحل بعض المشاكل التي يعاني منها محصول القطن، اقترح ما يلي: تشكيل لجنة عليا للزراعة في المحافظة، لكي يتم التعاقد مع الحكومة التركية مثلاً لشراء هذا المحصول. كما يجب تأمين الأسمدة للموسم القادم بسعرٍ معقول، عن طريق رخص زراعيةٍ من المجلس المحلي أو الوحدة الزراعية. بالإضافة إلى الحاجة الماسّة إلى جرّ أقنيةٍ للريّ في بعض المناطق.

القنابل غير المنفجرة... والألغام الأرضية

موت مؤجّلٌ وفجائيٌّ يتربَّص بالمدنيين

أيمن سليمان | وائل الخلف | منى العبد الله

تعتبر الألغام الأرضية والقذائف غير المنفجرة من أخطر التهديدات الجانبية المرافقة لأعمال الحرب، ولم تحظ هذه الظاهرة بالقدر الكافي من الاهتمام في المناطق المحررة. حاولت «عين المدينة»، ومن مواقع متعددة، رصد هذه القضية.

عدسة زياد مطر | خاص عين المدينة

قصصٌ قصيرةٌ ومؤسفة

في الأرض الزراعية المجاورة لمنزلهما في مدينة موحسن . شرق دير الزور. كان الطفلان الشقيقان (طارق 11 سنة، وبراءة 10 سنوات) يلعبان، وكانت تلك لعبتهما الأخيرة، عندما قادتهما الرغبة بالاكتشاف إلى الاقتراب من جسم معدني غريب، حمله طارق ضاحكاً، قبل أنْ يسقطَ منه وينفجر، ليودي بحياته وحياة شقيقته. لم يكن هذا الجسم، الذي أثار فضول الصغيرين، سوى قذيفة غير منفجرة أطلقتها قوات الأسد من مطار دير الزور العسكري، في قصفها اليومي والمتكرر على موحسن. ومن المدينة نفسها أيضاً قصةٌ أخرى لم يمت فيها هذه المرة أحد، فبعد نوبة قصف براجمات الصواريخ خرج اليافعان (شبيب وأحمد) لرعاية قطيع صغير من الأغنام فشاهدا صاروخاً منغرساً في الأرض الزراعية الرخوة، وبنوع من العبث والمشاكسة أخذ كلٌّ منهما يرمي هذا الصاروخ بالحجارة، لينفجر فجأة، ولم يصابا ولحسن حظهما بمكروه، وربما تكون قصة هذين الراعيين هي الوحيدة من قصص الانفجارات المؤجلة التي لم تنتهِ نهاية محزنة. ومن قرية المريعيّة، المجاورة للمطار العسكري، لم يكن راعي الأغنام أحمد حمود العاشق يتوقع مصدراً آخر للموت سوى القصف المباشر من هذا المطار، لكن هذا لم يحدث، بل جاءه الموت من لغم أرضي زرعته قوات الأسد في عملية تسلل سابقة كما يبدو، بعيداً عن المطار في الأراضي الزراعية للسكان. انفجر هذا اللغم بأحمد العاشق، الذي أسعف إلى مشفى موحسن الميداني ووصلها وقد فارق الحياة.

يعلق وائل الناصر، الطبيب في المشفى الميداني، على هذه الأحداث بالقول: استقبلت المشفى، منذ تأسيسها قبل أكثر من عام وأربعة أشهر، عشرات الإصابات الناجمةً عن القذائفً والقنابل التي لم تنفجر لحظة سقوطها وانفجرت في وقتٍ لاحق. وجميع هذه الحالات هي لمدنيين، يأتي الأطفال في أغلبيتهم، لأنهم لا يدركون الخطورة الكامنة في هذه القذائف. وتتراوح الأضرار بين الوفاة الفورية وبين بتر الأطراف. وما يمكن أن يفعله الأطباء في هذا الحالات قليلٌ للأسف، وخاصةً مع الضعف الكبير في الإمكانات والتجهيزات.

> من واجب المنظمات الدولية المعنيّة أن تنظّم دورات تدريبيّة خاصّة لعناصر الدفاع المدني الذين ترشحهم المجالس المحلية. وأن تسهم في تجهيز هذه المجالس بالمستلزمات الكفيلة التي يتطلبها التعامل مع قضية كهذه، هي من قضايا الحياة والموت.

الدفاع المدني: مهمةٌ أخرى للمجالس المحلية

يبدو علي الصالح، رئيس المجلس المحلي لمدينة موحسن، مهتماً جداً بهذه القضية التي يصفها بالخطيرة، ويأسف للضحايا الذين سقطوا جراء الانفجار اللاحق للقذائف والقنابل التي أطلقت من قبل قوات النظام على مدينته، مع أن الأهالي هناك يتمنون أن لا تنفجر أي قذيفة أو صاروخ يطلقان في نوبات القصف اليومية عليهم. وهذه أمنيةٌ رائعة لكنها مشروطة بالتعامل الصحيح مع هذه الأجسام غير المنفجرة، من قبل المجالس المحلية لأنها الجهة الإدارية والتنفيذية التي يتوجّب عليها معالجة هذه المشكلة الخطيرة والمتجدّدة. يقول الصالح: نحن الآن بصدد تأسيس مكتب للدفاع المدني يتبع للمجلس المحلي في موحسن، مهمته الأولى شؤون

السلامة العامة والتعامل مع القذائف غير المنفجرة والألغام الأرضية وغيرها من الظواهر، مثل الحرائق الناجمة عن القصف وانتشال المصابين من تحت الركام، وغير ذلك من المهمات. وكلها صعبةٌ تضاف إلى المهام الثقيلة الملقاة أصلاً على عاتق المجلس بمكاتبه المختلفة.

ويضيف الصالح: نحن في المجلس المحلي نحضّر لدورةٍ تدريبيةٍ لأعضاء مكتب الدفاع المدني المزمع تأسيسه، وننتظر خبيراً مختصاً سيأتي للتدريب في هذه الدورة. وقد رفعنا دراسةً واسعةً أو مشروعاً للدفاع المدني على مستوى محافظة دير الزور كلها، وننتظر الاهتمام به والاستجابة له من الهيئات ذات الصلة.

ويختم الصالح حديثه لـ«عين المدينة» بالقول: خلال الأشهر الماضية، لم نستطع التعامل مع ظاهرة القذائف غير المنفجرة إلا بطريقةٍ واحدةٍ هي إبعاد المدنيين عن الموقع، والاتصال ببعض الكتائب من الجيش الحرّ لتأتي وتتعامل مع هذه القذائف. ويضيف الصالح: نأمل اليوم أن يجهّز مكتب الدفاع المدني بكل التجهيزات اللازمة من آلياتٍ ومعدّات، وخاصة مع الشحّ في موارد المجلس المحلي لموحسن.

أما المجلس المحلي للجزء المحرّر من مدينة دير الزور فقد سبق بقية المجالس في المحافظة بتأسيس مكتبٍ مختصٍّ بالدفاع المدني. وأثبت هذا المكتب فاعليةً كبيرةً بالقيام بواجباته، وهي كثيرة حقاً في مدينةٍ قد تستمرّ نوبة القصف من قبل قوات الأسد عليها عدة أيام. ويقول المهندس حسين الحيجي، رئيس المجلس المحلي للمدينة: كثيرةٌ هي القذائف التي سقطت ولم تنفجر. وتعلمنا مع الزمن التمييز بين القديم من حشواتها والجديد. ويسعدنا أن تكون جميع ذخائر الاسد وقنابله فاسدة، بالرغم من خطورتها اللاحقة، إلا أن هذا يعطينا فرصةً لعمل شيءٍ ما، وعلى الأقل تحذير الناس من الاقتراب من مواقع الخطر، التي تشكل مصدراً كبيراً للقلق والخوف. وقبل أسبوع مثلاً . يضيف الحيجي . أطلقت طائرة أسديّة صاروخين سقط أحدهما أمام جامع السرايا ولم ينفجر. والغريب أنه لم يتضرّر أبداً بالسقوط، بل بقي على حاله وبكامل هيئته، ليشكل رعباً كاملاً لم يستطع مكتب الدفاع المدني في المجلس التعامل معه، لقلة الخبرة والإمكانات. وكذلك عجزت بعض كتائب الجيش الحر، التي نستعين بها في العادة، عن ذلك. وما زال الصاروخ في مكانه، وغيره العشرات تشكل تهديداً رهيباً يضاف إلى التهديدات الأخرى على حياة السكان.

ويطلق رئيس المجلس في ختام كلامه نداءً عبر «عين المدينة» يخاطب فيه كل مؤسسةٍ أو هيئةٍ أو منظمةٍ تستطيع المساعدة في تدريب وتجهيز مكتب الدفاع المدني، إنقاذاً لأرواح كثيرةٍ قد تزهق بهذه المتفجرات الموقوتة، وخاصة مع عودة كثيرٍ من الأهالي إلى المدينة بعد نزوح مريرٍ آثروا عليه الرجوع إلى بيوتهم، مما يعني زيادة الاحتمال بوقوع عددٍ أكبر من الضحايا بهذا النوع من الحوادث.

ومن البوكمال في أقصى شرق المحافظة، يتذكر عضو المجلس المحلي خليل الجليد قصة الطفلين الشقيقين خالد وأحمد الحلاق، والتي تعود إلى كانون الأول من العام الماضي، إثر تحرير مقر المخابرات العسكرية في هذه المدينة، عندما قصفت الطائرات الأسدية محيط المقرّ بالقنابل العنقودية، ولم ينفجر بعض هذه القنابل ساعة القصف، بل انفجر لاحقاً، وفي أيدي الطفلين الشهيدين اللذين كانا يلعبان في مكانٍ مجاورٍ للموقع.

نصائح من الجيش الحر

تعتبر القنابل العنقودية التي ترميها الطائرات هي الأشد خطراً على الإطلاق، كما يقول الملازم أول في الجيش الحرّ عبيدة أبو جرّاح، وذلك لسهولة انفجارها. وتليها في الخطورة قذائف الهاون والمدفعية والدبابات. وينبّه إلى أن التعامل مع المقذوفات غير المنفجرة هي من اختصاص عناصر كتائب الهندسة المدرّبين على التعامل معها. ويقترح أبو جرّاح أن يقوم ضباط الهندسة من الجيش الحر بتدريب عناصر مكاتب الدفاع المدني.

ويقدّم عقيدٌ في الجيش الحر عدة نصائح تتلخّص في تحديد موقع الجسم الخطر وإحاطته بما يتوفّر من علاماتٍ وإشاراتٍ في البيئة المحيطة، كالحجارة أو أكوام التراب، وإبعاد المدنيين عن الموقع بمسافةٍ لا تقلّ عن 200 متر، مع الانتباه لاحتمال أن ينفجر المقذوف بمؤقتٍ زمنيٍّ أُعدَّ من قبل العدو بقصد إيقاع أكبر الأذى في صفوف المدنيين. ومن ثم استدعاء عناصر الهندسة المختصّين ليتمّ نزع صمام التفجير أو الصاعق، وإن تعذّر ذلك عليهم تحريك المقذوف بحذرٍ ليكون ظاهراً لقنّاصٍ ماهرٍ يستطيع إصابة الصمام من مسافة 100 متر إن تحصّن بحفرة، أو يبتعد إلى 200 متر إن لم تتوفر هذه الحفرة.

وعن التخلّص من الحشوة المتفجرة يقول هذا الضابط: على عناصر الهندسة، وبعد نزع الصمام، أن يربطوا الحشوة بسلكٍ طويلٍ إلى مسافةٍ آمنة، وربط ذلك السلك بمصدرٍ كهربائيٍ لتفجيرها والتخلص منها. ويؤكد العقيد، الذي عاش لسنواتٍ طويلةٍ مع السلاح والقذائف وصمامات التفجير، أن هذه الطريقة بالتخلص من الحشوات المتفجرة تناسب جميع أنواع القذائف من مدفعيةٍ وهاونٍ وعنقوديةٍ ودبابات. ويضيف أخيراً نصيحةً عمليةً جداً في الحالة التي تتعذّر فيها الأساليب السابقة كلها، بتجهيز قذيفة المولوتوف البدائية، أو أي مصدرٍ ناريٍ يمكن رميه إلى جوار المقذوف، لرفع درجة حرارته إلى مرحلة الانفجار، مع أخذ احتياطات الأمان اللازمة.

عدسة زياد مطر | خاص عين المدينة

«خطواتٌ» صغيرةٌ نحو سورية المستقبل

ليلى الظاهر

من أرشيف خطوات

يحاول ناشطون في مدينة «الميادين» أن يسهموا في وضع لبنات مجتمع جديدٍ وفاعل. وقد بدأوا عملهم بحملةٍ أطلقوا عليها اسم «طفلي يبتسم»، تضمّنت نشاطاتٍ فنية وعملية متنوّعة للأطفال النازحين.

تكبر كل يوم. أمي سعيدةٌ جداً بها. والدي يشجعني على سقايتها يومياً. أصبحت بفضلها أحب اللون الأخضر. هكذا تحدث «زين العابدين» عن نبتة البقدونس التي استحالت إلى نافذة يطلّ منها هذا الطفل الديري الصغير على العالم، وفي الوقت عينه نافذة لنا على مشروع «خطوات للتنمية الاجتماعية»، المشروع الذي وضع في يد «زين» بذور البقدونس التي استحالت نبتة خضراء، ناعمة لكنها تشق التربة وتعلو.

للتعرف على هذا المشروع التقينا بأحد مؤسسيه ليحدثنا عن فكرة المشروع، كيف انطلقت والمحاور الأساسية التي يعمل عليها، فقال: لمسنا من خلال عملنا الميداني في مجالاتٍ اجتماعيةٍ متعددة، في مدينة الميادين، حالة من اللامبالاة عند الكثير من الشرائح الاجتماعية، وحالة من اليأس لا تنسجم مع التغير الحاصل في بنية المجتمع السوري خلال السنوات الثلاث الأخيرة. وافترضنا أن هذه الحالة ربما تنبع من إحساس البعض منا بالعجز وعدم الثقة بالقدرة على التغيير أو المشاركة النشطة والهادفة في خلقه، لذلك قررنا نحن. ونحن هذه أعني بها مجموعة من المتطوّعين الشباب بجهود فردية . البدء بخطوات مدروسة تشمل كافة المراحل العمرية. وقد أطلقنا حملة خاصة بالأطفال سوف تتبعها أنشطة للكبار تتضمن بشكل أساسي محاضرات للتوعية السياسية والتثقيف الصحي، شعارنا أن لكل منا الحق والقدرة على وضع حجر أساس في في سوريا المدنية المتحضرة.

ويبدو من خلال أنشطة المشروع أن مؤسسيه قد اختاروا البدء مع ذوي الخطوات الناعمة، وتحديداً في مراكز الإيواء حيث ينفذ المشروع معظم أنشطته. وللحديث عنها التقينا بالسيد «ن. م» الذي قال: أول خطوة لمشروعنا كانت حملة بعنوان «طفلي يبتسم». وهي مستمرةٌ إلى الآن في مرحلتها الأولى، التي تضم حوالي 200 طفل وطفلة. تتضمن هذه المرحلة العديد من الأنشطة أبرزها ورشات رسم، ونحت (تشكيل بالمعجون والصلصال)، وحفلاتٌ موسيقية، وعروضٌ سينمائية للأطفال، ومسرح دمى، وتوزيع كتب ومجلات خاصة بالأطفال، بالإضافة إلى جلساتٍ للقراءة، ولعب الشطرنج، وزراعة النباتات والاعتناء بها بإشراف مهندس مختص. وهذا النشاط يشمل زراعة الأحواض في مراكز الإيواء، بشكلٍ يكون له مردود اقتصادي بالنسبة للنازحين.

الفئة المستهدفة من هذه الحملة هم الأطفال بين سن 3 – 12 سنة، النازحين منهم بصورة خاصة، مما يفرض أن يكون مكان تنفيذ الأنشطة هو مراكز الإيواء انطلاقاً من مدينة الميادين.

وحول الفرق بين خطوات وغيره من المشاريع التي تهتم بالطفولة أضاف: في منطقتنا هنالك مجموعات تعمل على أنشطة مشابهة لكنها تفتقر في عملها إلى الديمومة بالنسبة إلى الطفل الواحد، أي أن النشاط لا يستمر أكثر من ساعات قليلة، ويترك أثراً مريحاً لدى الأطفال، لكنه لا يساهم في إنجاز تأثيرٍ مهم على المستوى البعيد. أما نحن فننفذ مع مجموعةٍ واحدةٍ من الأطفال أكثر من 24 نشاطاً خلال شهر ونصف الشهر، يتم اختتامها بحفلٍ تعرض فيه نتاجات أطفالنا خلال هذه المدة.

وتهدف هذه الأنشطة عموماً إلى تقديم الدعم النفسي للأطفال، وتمييز الذين يعانون من مشاكل أو صدماتٍ نفسية بينهم، لتأمين علاج مناسب لهم، وتعزيز ثقة الطفل بنفسه من خلال منحه فرصة المشاركة في صناعة أشياء ذات تأثير إيجابي في محيطه، كالزراعة وصناعة الدمى، ومساعدة الطفل على اكتشاف ذاته أكثر، وتنمية قدرته على الاختيار من خلال وضعه أمام أنشطة متعددة، وتنمية مهارات الأطفال العقلية والجسدية، وتنمية ميول الأطفال، وبالأخص تلك التي ترتبط بالأنشطة الأساسية للمشروع، كالرسم والموسيقا والمسرح. بالإضافة إلى تنمية مهارات التواصل والحوار لدى الأطفال، ومساعدتهم على تجاوز التبعات النفسية الخطيرة للحرب في سورية، بشكلٍ يمكّنهم من التعامل بشكل إيجابي مع الظروف الحياتية التي يمرّون بها.

منظمة «روافد»

ثائر منصور

منذ بداية الحملة الهمجيّة على دير الزور وحتى هذه اللحظة، يعمل العديد من الشباب في المدينة على إيصال المساعدات إلى أكبر قدرٍ ممكن من المحتاجين. وقد نشأت منظماتٌ ولجانٌ إغاثيةٌ تعمل جميعها اليوم كفريقٍ واحدٍ، رغم اختلاف أسمائها، على سدّ حاجات الصامدين في المدينة، من مدنيين ومن مقاتلي الجيش الحر.

مطبخ روافد الخيري

روافد والعمل الإغاثي

ومن أوائل هذه الجهات منظمة روافد، العاملة داخل المدينة وخارجها. وقد تأسست مع بداية الحملة على المحافظة، وعملت على تأمين أساسيات الحياة للمحاصرين داخل المدينة، ثم تطور عملها لتشمل النازحين في الرقة والحسكة والقامشلي وبعض القرى.

لدى منظمة روافد داخل المدينة مطبخٌ خيريٌ يقدّم الوجبات للفقراء والمحتاجين، وفرنٌ يقدّم مادة الخبز مجاناً لكافة الموجودين بالمدينة، بالتنسيق مع باقي المنظمات الإغاثية. كما تقوم المنظمة بتوزيع السلال الغذائية للعوائل داخل المدينة شهرياً.

واليوم تنفذ روافد عدة مشاريع إغاثية، بالتعاون مع منظمات إغاثية كبرى، كمشروع "كلنا الشام" لتوزيع مادة الخبز داخل المدينة وللنازحين في البوكمال والعشارة والرقة والجزرات، الذي ترعاه هيئة شام الإسلامية، وتوزيع حليب الأطفال في الأحياء المحاصرة بالتعاون مع Sham Relief، إضافة إلى مركز روافد للاستشفاء في مدينة أورفا التركية، والذي يدعمه صندوق إعانة المرضى الكويتي، ويعنى بمتابعة علاج المصابين من مقاتلين ومدنيين، ويقوم أيضاً بتركيب الأطراف الصناعية لمن فقد أطرافه خلال المعارك، وفق ما يتوفر من إمكانات.

كما أنشأت المنظمة داراً لرعاية المسنين داخل المدينة، يقوم فيها المتطوعون في المنظمة بتأمين احتياجات المقيمين ومتابعة وضعهم الصحي. كما تكفل المنظمة العديد من الأيتام الموجودين داخل المدينة.

وخلال شهر رمضان الفائت نفذت روافد عدة مشاريع، منها حملة إفطار صائم، بتوزيع الماء والعصير البارد والتمر على المارّة ممن أدركهم موعد الإفطار وهم في الطريق. وفي العيد كانت لروافد وقفةٌ مع الأطفال، فقامت بتوزيع الألعاب و"العيديات" عليهم.

ويستعدّ فريق روافد لفصل الشتاء بتجهيز مدافئ الحطب وتوزيعها، مع الأغطية والألبسة الشتوية، على الصامدين في المدينة.

معوقات عمل روافد

يشرح أبو أحمد، العضو الإداري لمنظمة روافد، لـ"عين المدينة" معوقات العمل داخل المدينة وفي باقي المناطق قائلاً: "قبل تحرير جسر السياسية كانت عملية إدخال المواد الغذائية والطحين إلى المدينة أشبه ما تكون بالعملية الاستشهادية، أما اليوم فأصبحت مسألة سهلة، لكن ظهرت مشكلة الارتفاع المستمر لأسعار المواد الغذائية، وارتفاع أجور النقل، وصعوبة عملية إحصاء العوائل المحتاجة، بسبب خروج بعضها وعودة أخرى، وتغيير بعض العائلات لبيوتها بعد قصفها".

روافد والناس

قامت "عين المدينة" باستطلاع آراء الناس حول منظمة روافد، فوجدنا بعضهم يشيد بها، ووجدنا من ينتقد أداءها وطريقة عملها، وربما يصل الأمر إلى اتهام القائمين عليها باستغلال العمل الإغاثي لخدمة مشاريع سياسية لشخصياتٍ وجهاتٍ بعينها.

إذ يرى ناشطٌ إعلاميٌّ أن روافد هي جزءٌ من منظومةٍ كبيرةٍ إغاثيةٍ. طبيةٍ. إعلاميةٍ، تخدم مشروعاً بعينه ولا تراعي مصالح الثورة العليا، ولا يهمها إلا أن تكون وحدها من يقود ويسيّر الثورة في دير الزور. ويسرد هذا الناشط قائمةً من الحوادث التي يعتبرها إساءاتٍ كبيرةً بحق الثورة، يأتي في مقدمتها التحريض على الفتنة والخصام. أما أبو محمد، وهو أحد سكان حي الحميدية، فقد اشتكى أن المنظمة لا تقوم بتوزيع السلال الغذائية في حي الحميدية.

ومن جهتهِ يردّ أبو أحمد على هذه الانتقادات بالقول: "أولاً نحن في منظمة روافد انتماؤنا وولاؤنا للناس، وليست لنا أية تبعية، لا لكتائب ولا لتجمعات. أما بخصوص المطبخ المجاني فتوزيع الوجبات وفق الطلب ووفق سجلات وجداول خاصة، ووفق ما تتيحه الظروف والامكانات. وأما بخصوص توزيع السلال الغذائية فمنظمة روافد ملتزمة بقطاعها الذي تم الاتفاق عليه بين المنظمات الإغاثية في المدينة، وحي الحميدية خارج ذلك القطاع، ولكننا متكفلون بالعوائل المعدومة الدخل في كافة الأحياء".

دار روافد لرعاية المسنّين | دير الزور

شهادات ناجين من مجزرة حيّي القصور والجورة

أحمد الصالح

اقتحمت فرق الموت، متمثلة بقوات الحرس الجمهوري، حي الجورة من جهة الغرب، ونفذت إعداماتٍ ميدانية رهيبة، كانت حصيلتها بحسب الناشطين أكثر من 400 شهيدٍ يتوزعون بين الجورة وحي القصور المجاور. لتنقطع بذلك سلالات عائلات كاملة في بعض الحالات، وليختفي بهذه المذبحة أيضاً أكثر من ألف مفقودٍ لا يعرف عن مصيرهم أحد.

مذبحةٌ مروعةٌ وقعت قبل عام من الآن في الجزء الغربي من مدينة دير الزّور، والواقع تحت سيطرة النظام، وبالتحديد في كل من حيي الجورة والقصور. وابتداءً من حزيران في العام الفائت قرر الجيش الحرّ الابتعاد عن هذين الحيين وذلك لجعلهما منطقة آمنة، خاصة مع اكتظاظهما بالنازحين من الأحياء المحررة. إلا أن هذا لم يشفع للمدنيين هناك في الحملة الهستيرية للقوات القادمة لسحق الثورة في المدينة، بعد ثلاثة أشهر من عجز القوات الأسدية المنتشرة من قبلٍ عن إعادة احتلال الأحياء المحررة. وعلى رأس القوات المستقدمة كان اللواء 105 حرس جمهوري، بقيادة كلٍ من عصام زهر الدين وعلي خزام، ابن القرداحة والضابط السفاح النجم في أوساط الشبيحة، والذي أقسم أنه سيجتاح المحافظة كلها وصولاً إلى البوكمال . ليشرب المتة فيها كما قال . لكنه، وبعد يومٍ واحدٍ، (بتاريخ 26/ 9/ 2012) أصيب إصابةً قاتلةً في أحد الاشتباكات، ليلقى حتفه في مشفى 601 العسكري بدمشق، بعد ذلك بشهر. وترجّح بعض الآراء أن المجزرة كانت انتقاماً لإصابته.

"عين المدينة"، وفي الذكرى السنوية الأولى لهذه المذبحة، التقت ببعض الناجين منها، فكانت هذه الشهادات.

أبو بكر (من سكان حي الجورة):

في صباح 25 أيلول اقتحمت قوات النظام حي الجورة من ثلاثة محاور، إذ قامت بتقسيم المنطقة إلى ثلاثة قطاعاتٍ يفصل بينها شارع الجورة الرئيسي وشارع الوادي وشارع السجن.

بدأت العملية بقصف الحي بعدة قذائف، مما أدى إلى إصابة الكثيرين، ومنهم أحد جيراني الذي أصيب بشظية في ساقه. لم يكن بالإمكان إسعافه إلى المشافي، فالطرقات مغلقة بقناصات النظام، فأدخلناه إلى منزلنا. بعد ذلك رأيت من النافذة دباباتٍ في الشارع، ودخلت سيارات بيك آب تحمل العشرات من عناصر الحرس الجمهوري، وكان بعضهم يحملون سيوفاً. انتابنا الرعب فأشرت إلى أسرتي أن نبتعد عن النافذة خوفاً من أن يرونا. بدأ تفتيش منزلنا بكسر الباب بطريقةٍ بربرية. كانت أعدادهم كبيرة. صاح بي ضابطٌ في المجموعة: "هاتوا الهويات بسرعة". بعد أن أخذوا الهويات طافوا في غرف المنزل فوجدوا جارنا المصاب الذي كنا قد ضمدنا جرحه بما لدينا من أسمال. ومن فضل الله لم يكن جرحه ينزف، ولذلك كان من الصعب التبين أنه مصاب. صاح الضابط: "مين هاد؟". بادرت بالإجابة: "هذا جارنا يا سيدي. من بلشوا المسلحين يضربون دخل لعندنا ع البيت".

طلب منا الضابط الخروج من المنزل. كنت أنا وإخوتي الثلاثة وجارنا المصاب. صاح الضابط بأحد العناصر: "خذهم على ربهم". اقتادنا العنصر إلى مؤسسة الخضار بالقرب من جامع التوبة في شارع الوادي، حيث يُعدم الناس. وفي الطريق إلى هناك استوقفنا ضابطٌ برتبة أعلى وطلب منا أن نذهب معه لنرى . حسب قوله . ما فعلته قوات النظام بإحدى الجارات.. دخلنا منزلها لنجدها جثةً هامدة وبجانبها حفيدها وزوج ابنتها، والدماء تملأ الأرض. طلب منا الضابط أن نجهّز أنفسنا للحديث إلى قناة الدنيا عن ما حدث، وطلب أن نقول بأن العصابات المسلحة هي من قامت بهذا الفعل. بقينا ننتظر قرابة الساعة، وبعدها أذنوا لنا بالعودة.

ظافر (شاب من سكان حي الجورة شارع الوادي):

في الواحدة ظهراً دخلت مجموعة كبيرة من الشبيحة البناء الذي نقطن فيه. طرقوا الباب... دخلوا.. فتشوا... طلبوا من والدي أن يحضر لهم الماء فأحضره. شربوا وخرجوا من المنزل. وفي الحارة وجدوا سيارة تحمل نمرةً خليجيةً. سألوا عنها فأنبأهم الجيران أنها سيارة والدي، فعادوا إلينا بطريقةٍ همجيةٍ وصرخوا بوالدي أن ينزل وبدأوا التحقيق معه. والدي يعمل في السعودية، وكان في إجازة. وصل المدينة قبل الحملة بثلاثة أيام... فتشوا السيارة فلم يجدوا فيها شيئاً. وبعدها اتهموه بأنه من داعمي الجيش الحر، وأنه يعمل لدى العرعور! شرح أبي لهم أنه يعمل في الخليج، وأنه يعود كل سنةٍ في إجازة. تفقد أحد العناصر السيارة التي كانت تخفي عبارة "عاش الشهيد فطيحي" التي كتبها أحد أبناء الحي على الجدار. فطيحي هو لقب أحد الشهداء، وقد قتلته قوات الأمن في إحدى المظاهرات السلمية. عندما قرأ العناصر هذه العبارة سألوا والدي: "مين فطيحي؟؟؟... وين فطيحي؟؟ بدك تطالعه هلق".

كان والدي يعرف منزل الشهيد، لكنه لم يشأ أن يدلّهم عليه، فكان يكتفي بالرد بأنه لا يعلم أي شيء. قاموا بتفتيش الحارة مجدداً، ولكنهم طلبوا البطاقات العائلية لكل السكان هذه المرة، وبحثوا فيها عن فطيحي، لكنهم لم يجدوه. عادوا إلى والدي ليطلبوا منه أن يرشدهم إلى مكان فطيحي، وهددوه بالقتل إن لم يفعل.

حي القصور عقب المجزرة

لم يكن أمام أبي سوى أن يأخذهم إلى مقبرة الشهداء في حديقة مسجد التوبة، وأشار لهم إلى أحد القبور وقال: "هذا فطيحي.. هذا قبره". صاح أحد الضباط بأبي: "عم تتمسخر علينا... خذوه". واقتادوا أبي إلى مؤسسة الخضار، وهناك أطلقوا النار عليه. وبالرغم من أن الرصاصة اخترقت وجنته وخرجت من عنقه، لكنها لم تقتله. ففي السابع والعشرين من أيلول، وكانت الحملة قد انتقلت إلى حي القصور، وكنت حبيس المنزل طوال هذين اليومين؛ خرج أحد باعة الخضروات ليقف في مكانه المعتاد بجانب المؤسسة، فسمع صوت أنين قادم من داخلها. تجمّعنا ودخلنا المؤسسة فوجدنا رجلاً منتفخاً لا يقوى على الكلام، ولا نستطيع تحديد ملامحه جيداً، فالدماء تملأ وجهه. لم يتعرف أحدٌ على هوية ذلك الرجل، ولكنني استطعت تمييزه من الساعة التي في يده. لقد كان والدي. أخرجناه إلى المنزل. كانت حالته حرجة. لم يكن أمامنا سوى المشفى العسكري. ذهبنا إلى هناك فأعطونا تقريراً طبياً بأن العصابات المسلحة قامت بضرب أبي، وأسعفناه إلى إحدى المشافي في مدينة الرقة. وبعد ثلاثة أشهر تماثل للشفاء.

الحاجة أم حسان:

زوجي إمام مسجد قباء. جاءنا إلى المنزل عشرات الوحوش. نعم، لم يكونوا بشراً، كانوا وحوشاً مخيفة. فتشوا المنزل وخرجوا، ونسي أحدهم هوية زوجي معه. خرج زوجي ليستعيد بطاقته الشخصية..... خرج ولم يعد. أعدموه رمياً بالرصاص، وتركوه مرمياً على قارعة الطريق.

محمد (من سكان منطقة الوادي):

لدينا منزلٌ عربيٌ كنا قد قسمناه بجدار ليصبح منزلين. كنا نقيم في الأول وتركنا الآخر للإيجار. في الحادية عشرة من صباح الخامس والعشرين من أيلول

من مقطع فيديو مسرّب عن المجزرة

ضربت إحدى الدبابات، الموجودة في نهاية شارع الوادي، أحد الأبنية، فأصابت مجموعةً من الشباب. كانت إصاباتهم تتراوح بين المتوسطة والبليغة. لم يكن بالإمكان إخراجهم من الحي، فالمنطقة محاصرة. جاء بهم الجيران إلى منزلنا. القسم المؤجّر. كنا ننتظر ريثما يهدأ الوضع كي نأخذهم إلى المشفى، ولكن قوات الحرس الجمهوري اقتحمت حارتنا بعد نصف ساعة. دخلوا منزلنا والمنزل الآخر فعثروا على المصابين. جاء أحد الضباط إلينا وسأل: لمن هذا المنزل؟ فأنكرنا معرفتنا به. ذهب قليلاً وعاد من جديدٍ وقال: سوف نحرق المنزل.. إذا كانت لكم أشياء فيه فتعالوا خذوها. أجابت أمي بأننا لا نعرف لمن هذا المنزل. بعدها طلبوا منا الدخول وإغلاق الباب. شاهدتهم بأم عيني يرشّون المصابين بمادة حارقة على شكل بودرة بيضاء، وأضرموا النار فيهم. كانوا خمسة شبان. أصوات صراخهم واستغاثتهم لا تزال تتردد في أذني.

أم عمر (من سكان حي القصور):

نزحت أختي وابنها الوحيد ذو العاشرة إلى بيتي من منطقة الحسينية بعد أن تعرضت للقصف. وفي السادس والعشرين من أيلول توفيت حماتي فأرسل زوجي ابن أختي إلى مركز الهلال الأحمر لكي يحضر النقالة من أجل الدفن. وفي اليوم التالي أرسله لكي يعيدها. تأخر ابن اختي لأكثر من ساعة، فخرج زوجي ليبحث عنه. عند نزوله إلى الشارع كان الجيش قد وصل إلى الحارة. سألهم عن ابن أختي فصرخوا في وجهه واقتادوه إلى التحقيق. كما يدّعون. طلب منهم أن يعود إلى المنزل لإحضار بطاقته الشخصية. عاد يقتاده أحد العناصر، وكان كل شيءٍ في وجهه يقول: لن أرجع. بكيت بشدة. بعد ساعة أحضروا جثة ابن أختي مكبلاً. كان المشهد فظيعاً. رأسه مشطورٌ بسكين. وفي المساء، بعد أن انسحب الجنود، أحضر الجيران جثة زوجي.

ثائر (من سكان حي القصور):

دخلت مجموعاتٌ كبيرةٌ حارتنا وقامت بالتفتيش. بعد أن فرغوا من تفتيش منزلنا سمعت أحد العناصر يصرخ لجارنا أبو عمار: "تعال ولاااك". نزل أبو عمار. كنت أسمع ما يجري جيداً: "انبطح ع الأرض ولاااك". بعدها سمعت رشقة رصاص.... انسحبت قواتهم ليلاً لنجد جثة أبو عمار. كان ذنبه أنه نظر إليهم من الشرفة فقط.

الكتائب الفقيرة...

خليل عبد الله

على الخطوط الأولى لجبهات القتال في مدينة دير الزور، ترابط مجموعاتٌ قليلة التعداد من الجيش الحر، لم يسمع بأسمائها الكثيرون. تختلف هذه التشكيلات عن سواها في كثيرٍ من المظاهر والصفات. إنها الكتائب الفقيرة، التي انقرض بعضها نتيجة استشهاد جميع المقاتلين في صفوفها.

بعددٍ قليلٍ من الرصاصات، لا يكاد يملأ مخزناً أو مخزنين، يبدأ (ع) نوبته مع رفاقه الخمسة من الكتيبة، في المرابطة داخل شقةٍ سكنيةٍ من بناءٍ مؤلفٍ من أربعة طوابق، يبعد خمسين متراً فقط عن بناءٍ آخر يتمترس فيه جنود الأسد. يعرف (ع) رفاقه جيداً، فهم أصدقاء قبل اندلاع الثورة، انخرطوا فيها سوية كمتظاهرين سلميين، ولم يخطر في بالهم يوماً أنهم سيصيرون مقاتلين يحملون البنادق ويألفونها كما يألف المدخن العتيق علبة التبغ.

لا يحب هؤلاء الشبان التصوير، ولا تبني العمليات العسكرية وبثّ مقاطعها عبر اليوتيوب على شبكة الإنترنت. وليست لكتيبتهم صفحة على موقع التواصل فيسبوك، وليس لهم أيضاً داعمٌ في الخارج يخاطبونه بلباقةٍ عبر السكايب ليرسل لهم المال. ولا يعرفون عن تركيا. كما يمزح (ع). إلا عَلَمها ورئيس وزرائها ومسلسلها الشهير «وادي الذئاب».

عدسة أحمد | خاص عين المدينة

في بعض المزايا عن الكتائب الأخرى

قلة الموارد، من مالٍ وذخيرة، وإنفاقها أو استهلاكها السريع على العمليات القتالية، في حال توافرها؛ هي السمة الأولى التي تتقاطع عندها الكتائب الفقيرة. وكذلك قلة التعداد، إذ يتراوح عدد المقاتلين بين 20 إلى 30 فرداً في كل كتيبة، تجمع بينهم في أغلب الحالات صلاتٌ أخرى بعيدةٌ عن الثورة، كالصداقة أو الدراسة أو العمل أو التجاور في السكن، وقد مرّوا جميعهم بالمرحلة السلمية للثورة ثم تحولوا إلى السلاح. وكذلك يتميز أفراد هذه الكتائب بالمستوى التعليمي المرتفع نسبياً، فمعظمهم طلبة جامعاتٍ أو معاهد أو خريجون، وفي أقل الأحوال حاصلون على الثانوية العامة. ومن جهةٍ أخرى، يتقارب مزاج هؤلاء المقاتلين مع أمزجة المدنيين وقناعاتهم الثورية في القضايا والأحداث العامة، فهم يتذمرون مثل المدنيين من أخطاء الجيش الحر، وينتقدون بشدّةٍ عدداً من تصرفات بعض المقاتلين.

وفي أسلوب حياة هؤلاء يلاحظ أن مقراتهم، أو أماكن إقامتهم في أوقات الراحة، قريبة جداً من خطوط التماسّ ومواقع المرابطة. ويعللون ذلك برغبتهم بالتحرك والوصول السريع لنجدة أو مساعدة رفاقهم في حالات الطوارئ، وبالرغبة أيضاً بالبعد عن المدنيين، لحرمان النظام من ذريعة قصف مقرات الحرّ في الأحياء المأهولة. وبحسب تعبير (أبو صالح)، وهو أحد مقاتلي الكتائب الفقيرة: "طلعنا من خطا المدنيين".

ميّت ما يساعد ميّت

لا يُقبل أيٌّ كان في صفوف الكتائب الفقيرة، فهم يعتزّون بسمعتهم الحسنة، ويفخرون بأنهم لم يصطدموا مع أي مدني أو مقاتل، رغم خشونة الظروف في حرب المدن التي يعيشونها منذ أكثر من عام كامل. ويحرص هؤلاء المقاتلون على تفوّق المزايا السلوكية لتشكيلاتهم، فهم شديدو الزهد بكماليات العدد والتجهيزات القتالية. فمعظم الكتائب الفقيرة لا تملك سياراتٍ، مثلاً، ويذهب مقاتلوها إلى الخطوط الساخنة سيراً على الأقدام. وهم لا يتحركون كثيراً في أوقات الراحة، ويكرهون الظهور في أوساط المدنيين. ومن جانبٍ آخر، يبدون حساسية كبيرة تجاه المال، فيرفضون التسول. كما يقول (ع). أو التبعية أو الدعم المشروط بالولاء لفكرةٍ أو أيديولوجيةٍ معينة. فما زالت الثورة بالنسبة إليهم ثورة مظلومٍ ضد ظالم، فقط.

وترتبط هذه الكتائب مع بعضها بعلاقاتٍ متينةٍ أساسها الاحترام والتقدير المتبادلان، رغم حرص كلٍ منها على الاستقلالية، مما يثير التساؤل عن عدم اندماجها مع بعضها في تشكيلٍ واحدٍ كبير. ويضحك (أبو صالح)، مفسراً ذلك بمقولةٍ شهيرة "ميّت ما يساعد ميّت"، كنايةً عن اللا جدوى في الاتحاد. فكل كتيبةٍ تتدبر أمرها بشبكةٍ من العلاقات الشخصية أو علاقات العمل العسكري مع الألوية الكبيرة، التي تحتاج إلى هذه الكتائب الصغيرة لسد الفراغ في بعض القطاعات على الجبهة، وبالتالي التكفل بتذخيرها بالحد الأدنى اللازم.

أسبقيّة الشريعة الإسلاميّة على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

منصور العمري

بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، مخلفةً دماراً كارثياً للبشر والحجر، في أكثر الصراعات العسكرية دموية على مر التاريخ؛ توصلت أمم الأرض إلى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي يفرض على جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة احترامه، ويحدد حقوق الأفراد الأساسية الملزمة، مؤلفاً من ثلاثين مادة هي نتاج الأعراف الإنسانية والاتفاقيات والمعاهدات والقوانين الدولية. وأشرف على صياغته كبار الشخصيات والمختصين من مختلف دول العالم، ليصدر في ست لغات فقط، من بينها العربية.

اقتباساتٌ من الدين الإسلامي الحنيف

في انتقالٍ من عنوانٍ إلى آخر في هذا الإعلان، يظهر بوضوح التأثير الكبير للدين الإسلامي الحنيفً على موادّه، إلى درجةٍ تبدو فيها وكأنها مقتبسةٌ من التعاليم الإسلاميّة، قبل نحو ألفٍ وأربعمئةِ سنةٍ من إصدار هذا الإعلان، في العاشر من كانون الأول عام 1948، عندما أقرّه جميع أعضاء الأمم المتحدة، باستثناء الاتحاد السوفييتي، ودول أخرى امتنعت عن التصويت.

المادة الأولى

يولد جميع الناس أحرار متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وُهبوا عقلاً وضميراً، وعليهم التعامل بين بعضهم البعض بروح الإخاء.

فكم استغرقت أمم الأرض الأخرى لتصل إلى معنى مقولة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: {متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً}، مخاطباً عمرو بن العاص الذي تغاضى عن تكبّر ولده وتعاليه إثر ضربه لغلام قبطي في مصر، بعد أن تغلب القبطيّ عليه في مسابقة رياضية.

المادة الثانية

لكل إنسانٍ حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون أي تفرقةٍ بين الرجال والنساء.

وتبدو هذه المادة شرحاً بسيطاً لجزءٍ من الخطبة العصماء التي ألقاها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أثناء حجة الوداع بعد فتح مكة المبين عند جبل عرفات، منادياً بالمساواة بين البشر وعدم التمييز بينهم، حين قال: «أيها الناس! اسمعوا قولي واعقلوه: ألا إن ربكم واحدٌ، وإن أباكم واحدٌ. كلكم لآدم وآدم من تراب. أكرمكم عند الله أتقاكم. إن الله عليمٌ خبير. ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. فليبلّغ الشاهد منكم الغائب».

المادة الثالثة

لكل فردٍ الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه.

تجمع هذه المادة ثلاثة حقوق سبق للإسلام تفصيلها وشرحها في عددٍ كبيرٍ من الآيات القرآنية الكريمة أو الأحاديث الشريفة، ومنها:

في حق الحياة:

قوله تعالى: {وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقّ} [الأنعام:151].

وفي الحديث النبوي الشريف: عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أكبر الكبائر الإشراك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وقول الزور» أخرجه البخاري ومسلم.

وفي حق الحرية:

لا يعني إقرار الإسلام للحرية أنه أطلقها من كل قيدٍ وضابط، لأن الحرية بهذا الشكل أقرب ما تكون إلى الفوضى. فالمقصود بها أن يكون الإنسان قادراً على التصرف في شؤون نفسه، وفي كل ما يتعلق بذاته، آمناً من الاعتداء عليه، في نفسه وعرضه وماله، على ألا يكون في تصرفه عدوانٌ على غيره.

قال تعالى: {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّين، قد تبيّنَ الرُشدُ من الغيّ} [البقرة:256].

وفي حق السلامة الشخصية:

حق السلامة الشخصية حقٌ مقدسٌ ومحترمٌ في الإسلام، فلا يجوز ترويع أو تخويف أو إهانة أو ضرب أو تعذيب أو الطعن في عرض أي إنسانٍ، مسلمٍ أو غير مسلم.

ففي حديثٍ طويلٍ رواه الطبراني أن يهودياً كان قد أقرض رسول الله مالاً فجاء إليه يطالبه بالسداد، وأغلظ له في الكلام، وأمسك الرسول الكريم من قميصه ورداءه. فما كان من عمر بن الخطاب إلا أن تدخل وهدّد اليهودي بضرب عنقه، فقال سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، لعمر: «... اذهب به يا عمر فأعطِه وزد له عشرين صاعاً من تمرٍ مكان ما رُعتَه».

خطّة التحوّل الديمقراطي في سوريا

عمرو السراج
باحث في المركز السوري
للدراسات السياسية والاستراتيجية

قبل نحو شهرين أعلنت المعارضة السورية عن رؤيةٍ تفصيليةٍ شاملةٍ للمرحلة الانتقالية في سوريا بعد انتهاء الصراع الدائر في البلاد، والذي اشتعل إثر اندلاع الثورة السورية في منتصف آذار من عام 2011. وقد شارك في إعداد تلك الخطة أكثر من 300 شخصية سورية من خبراء وباحثين سياسيين واقتصاديين وحقوقيين وقضاة ومحامين ورجال أعمال وعلماء دين وفنانين وأدباء ومنشقين دبلوماسيين وعسكريين، إلى جانب مجموعةٍ من أعضاء القوى السياسية المعارضة، وعلى رأسها الائتلاف الوطني. وقد تم إعدادها بمبادرةٍ من بيت الخبرة السوري وإشراف المركز السوري للدراسات السياسية والاستراتيجية.

وقد تم إعداد هذه الرؤية بحيث تكون قابلة للتطبيق مهما كان شكل نهاية الصراع في سوريا، إذ ستقوم الحكومة الانتقالية، التي سيتم تشكيلها فور سقوط النظام أو إثر توافق المعارضة مع النظام على حلٍ سياسي، بتسيير أمور الدولة في المرحلة الانتقالية الأولى؛ إذ اعتبرت الخطة أولى مهام الحكومة أن تحقق الشرعية الدستورية من خلال تعليق العمل بدستور عام 2012 والعودة إلى دستور 1950 بشكل مؤقت، كونه الدستور الوحيد الصادر عن إرادة شعبية سورية حقيقية، إلى جانب إصدار إعلانٍ دستوري مكمّلٍ له، يبينّ صلاحيات ومهام تلك الحكومة الانتقالية وجدولها الزمني وموعد الانتخابات التأسيسية القادمة.

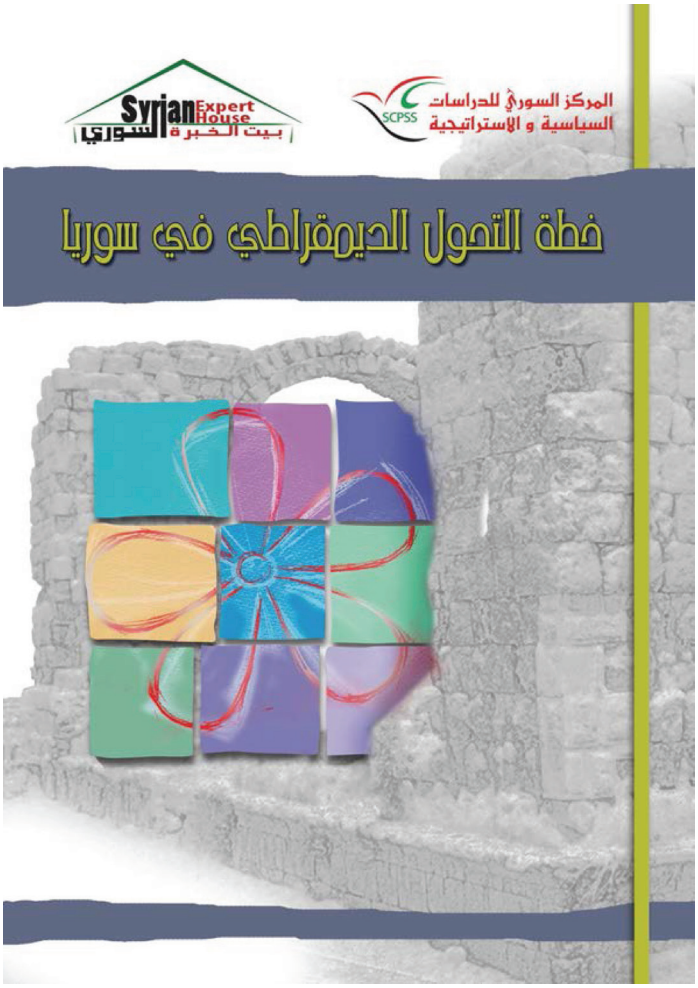

و بحسب الخطة فإن على الحكومة الانتقالية أن تشكّل هيئة مستقلة عامة للانتخابات خلال ثلاثة أشهر من قيامها، لتشرع الهيئة بإعداد قانونٍ للانتخابات بالتعاون مع القوى السياسية المختلفة، على أن يصدر قانونا الانتخاب والأحزاب خلال مدةٍ لا تتجاوز ستة أشهر من تاريخ تشكيل الهيئة، ثم تقام الانتخابات التأسيسية بعد ستة أشهر من تاريخ إصدار القانونين. وفيما يتعلق بالدستور فإن الخطة اعتمدت أن تتم صياغة الدستور من قبل جمعيةٍ تأسيسيةٍ يتم انتخابها شعبياً، وتناط بها مهماتٌ أخرى، كتشكيل حكومةٍ مؤقتةٍ وإصدار التشريعات.

وتتكون الجمعية من 290 عضواً، بحسب الخطة التي وضعت نظاماً انتخابياً جديداً لتشكيل تلك الجمعية يعتمد النظام النسبي في احتساب النتائج من خلال قوائم انتخابية مفتوحة. ويتميز النظام النسبي بأنه يترجم عدد الأصوات الممنوحة إلى مقاعد برلمانية بشكلٍ يضمن مشاركة أكبر شريحةٍ سياسيةٍ ممكنة. كما ضمن النظام الانتخابي مشاركة حقيقية لكلا الجنسين، فقد منح كليهما ثلث المقاعد على الأقل، كما حدد نسبة من المقاعد لذوي الاحتياجات الخاصة. وقد قسم النظام المقترح الدوائر الانتخابية إلى 32 دائرة بدلاً من 15. ودعت الخطة إلى تحويل النظام السياسي في سوريا إلى نظام برلماني، يكون منصب الرئيس فيه فخرياً، كي تسمح المشاركة المتنوعة لمختلف الفصائل والتيارات السياسية في صنع القرار، من خلال مشاركتها داخل البرلمان، برفع مستوى الحياة السياسية، ونقل الخلافات بين الفصائل المختلفة من الشارع إلى تحت قبة البرلمان.

وعالجت الخطة ملف القضاء السوري، بوضعها آلياتٍ محددةٍ لجعل القضاء سلطة مستقلة ثالثة حقيقية، لا مؤسسة خاضعة للابتزاز والفساد. وقد اقترحت الخطة إعداد قانونٍ جديدٍ للسلطة القضائية يضمن نزاهتها واستقلاليتها. كما شملت الخطة

الإصلاح القانوني من خلال تحديد عدد من القوانين السارية التي يجب إيقاف العمل بها فور تسلم الحكومة الانتقالية لمهامها، من خلال مراسيم تصدر بأسرع وقت. وخصّصت الخطة جزءاً كبيراً منها لملف العدالة الانتقالية في سوريا، فبعد دراسة تجارب عشرات الدول في معالجتها لهذا الملف وضعت الخطة برنامجاً متكاملاً يشمل خمس خطوات رئيسية يتم تنفيذها من خلال عدد من الخطط والآليات؛ وهذه الخطوات هي: معرفة الحقيقة والتعويضات والمحاسبة وإصلاح المؤسسات وإحياء الذكرى.

وقد رسمت الخطة هيكلية جديدة للنظام الأمني في سوريا المستقبل، بحيث تنحصر مهام الأمن بمؤسستين رئيسيتين؛ الأولى هي جهاز الأمن الوطني، وهو جهاز مدني محترف يتبع لرئيس الوزراء، أما الثانية فهي مديرية قوى الأمن الداخلي. كما استحدثت الخطة مجلس الأمن الوطني الأعلى الذي يرأسه رئيس الوزراء ويضم وزيري الداخلية والدفاع وقائد الجيش ورئيس جهاز الأمن الوطني ومدير قوى الأمن الداخلي. كما تشمل الخطة تشكيل لجان تطهير وتدقيق لدراسة ملفات عناصر الأمن في المراحل السابقة. ونصّت الخطة على تشكيل جيش وطنيٍّ حديثٍ تكون عقيدته القتالية عقيدةً وطنيةً تجعل حماية الوطن والمواطن هي المعيار. كما وضعت الخطة برنامجاً متكاملاً يعنى بنزع السلاح المنتشر في كافة أرجاء الدولة السورية ومن ثم دمج عناصر الكتائب الثورية المسلحة في الجيش الوطني الجديد.

وقد وضعت الخطة رؤيةً جديدةً للنظام الاقتصادي في سوريا ليكون أكثر تحرراً من قيود الدولة وأصحاب المصالح والمتنفذين فيها. وبحسب الخطة فإن هذه الرؤية الجديدة، بالآليات المقترحة، ستؤدي إلى تطوير البيئة الاستثمارية في سوريا ورفع مستوى معيشة المواطنين وتحقيق الهدف الأسمى؛ وهو سوريا 2040 واحدة من أهم الدول الاقتصادية في المنطقة والعالم.

خريطة الإسلاميين في الثورة السورية

محمد عثمان

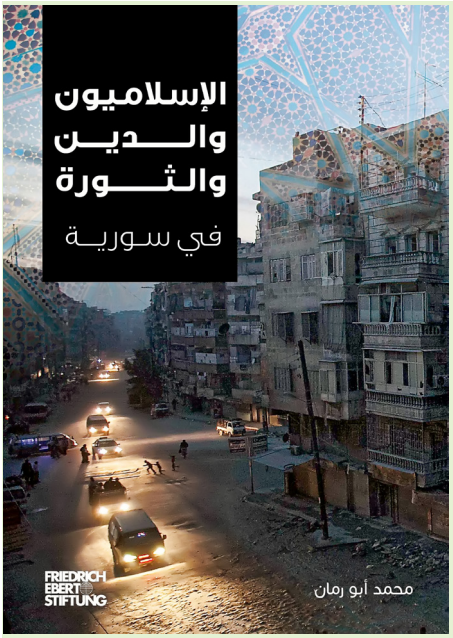

خلال شهر أيلول الفائت، صدر كتاب «الإسلاميون والدين والثورة في سورية»، للباحث الأردني المتخصص في شؤون الحركات الإسلامية، محمد أبو رمان، عن مؤسسة فريدريش إيبرت، ليجيب على الأسئلة المتصاعدة عن المشهد الإسلامي السوري الحالي وآفاق تطوّره.

هل «خطف» الإسلاميون الثورة؟ لا يميل المؤلف إلى الوقوع في العموميات تحت تأثير وسائل الإعلام والتقارير المجتزأة، بل يؤكّد أن المهمة الروحيّة والرمزية التي يقوم بها الإسلام في «الطبيعة الاستثنائية» لهذه المرحلة، من مواجهة الظروف الصعبة والمآسي الإنسانيّة وأخطار الموت أو الاعتقال؛ لا تعكس خياراً أيديولوجياً بالضرورة، وهي قابلة للتغيّر والتحوّل في المستقبل، تمدّداً أو تقلّصاً. وهو ما يدفع إلى التمييز بين مظاهر التديّن التي تشكل معلماً بارزاً من معالم الثورة اليوم، وبين الإسلام السياسي الذي تتبنّاه جهاتٌ محدّدة. وخاصةً بعد أخذ بعض أبعاد النظام السوري في الاعتبار، كالعلمانية الفظة والأمنيّة، والطائفية الإقصائية.

كما يميّز أبو رمان بين تيارات العمل الإسلامي، بدايةً من الإخوان المسلمين، الذين يحظى ملفّهم باهتمام غربيٍّ كبير، لأنهم الحركة الأعرق والأكثر تنظيماً، ولكن مساهمتهم في الثورة تبدو متواضعة بالقياس إلى «سمعتهم التاريخية» وحجمهم السياسي في هيئات المعارضة، فضلاً عن غموض طبيعة علاقتهم بالفصائل المسلّحة.

ولعلّ التيار السلفيّ هو الأبرز الآن. فبعد طول غياب عن الساحة السورية، عرف هذا التيار «طفرةً» لافتة، بدأت بالشيخ عدنان العرعور، ثم امتدّت لتشمل حركاتٍ ذات فاعلية ونشاطٍ واسعين، كحركة أحرار الشام وبعض حلفائها في الجبهة الإسلامية السورية، ولواء الإسلام وبعض حلفائه في الجبهة التي تحمل اسماً مشابهاً هو: جبهة تحرير سورية الإسلامية، وهي ذات طابع مختلط في تأثره بمدارس الفكر الإسلامي، السلفية والإخوانية.

ولكن «عقدة» الثورة الآن هي في تنظيمَي السلفيّة الجهادية المرتبطين بالقاعدة؛ جبهة النصرة والدولة الإسلامية في العراق والشام، اللذين أدى صعودهما إلى نتائج متباينة. فإذا كانا قد عزّزا العمل العسكري ضد نظام الأسد، فقد منحاه الحجة التي يحتاجها للتشكيك في الثورة وتسويق الخوف من نتائجها في أروقة السياسة ووسائل الإعلام في الغرب. بالإضافة إلى الخشية المتنامية من الصدام المسلّح بين هذين التنظيمين وبين مكوّنات الجيش الحرّ، وهو ما تكرّر أكثر من مرة خلال الأشهر الماضية.

أما الصوفيّة، التي كانت متجذّرةً في المجتمع السوري لقرون، فقد أخذت أكثر تجمّعاتها مواقف حذرة من الثورة. بل ذهب بعض رموزها وتياراتها بعيداً في تأييد النظام، مع وجود الاستثناءات بالطبع.

عبد الحميد السرّاج...

موتٌ هادئٌ لمؤسِّس جمهورية القمع السوريّة

د. ممتاز الشيخ

رحل «السلطان الأحمر» عن عمر يناهز الـ 88 عاماً، رحل وهو يسمع ويرى يومياً كيف يقضي شباب سورية نحبهم في زنزاناتٍ وضع هو أساسها وأسّسها.. يموتون تعذيباً من أجل التخلص مما بدأه السلطان وتلاميذه من بعده.

وطوال سنواتٍ مديدةٍ سابقةٍ، آثر الرجل الصمت، ولم يكتب مذكراته باعتباره شاهداً على المرحلة الأكثر غنىً في تاريخ سورية. فماذا عساه أن يقول وهو يرى الصرح المخابراتي السوري الرهيب ما زال قائماً حتى اليوم، وهو الذي أسّس لبناته الأولى بيده في منتصف الخمسينيات، وهو من وضع أسس نزع الاعترافات وسجناء الرأي.. ماذا كان سيقول السراج مؤسس الشعبة الثانية؟ وما زالت الآلة القمعية تعمل على نفس طريقة العنف بتقطيع الأجساد، وتلتهم من السوريين ليل نهار؟ وماذا عساه أن يقول وبعض الذين طالهم التعذيب ما زالوا بين الأحياء يذكرون تفاصيل تلك الأيام؟

وقبل عهد المكتب الثاني الذي قاده السراج لم تعرف سورية شيئاً اسمه «سجناء سياسيين» ولا المباحث الذين يرتدون اللباس المدني للتخفي ويقومون باعتقال الناس.. هذه البداية وجدت لاحقاً من يكمل سيرتها في عهدي (حافظ الأسد وبشار الأسد) حتى تشكلت جمهوريةٌ كاملةٌ من الخوف، جمهوريةٌ لا حدود لسطوة رجال الأمن فيها.

في السيرة

بدأ عبد الحميد السراج، المولود في حماة 1925، حياته حارساً على مدخل بحصيتا (سوق مدينة حلب العمومي). ثم انتسب إلى الكلية العسكرية التي تخرج فيها عام 1947. وكان في بداياته مرافقاً لحسني الزعيم، ثم لأديب الشيشكلي. تمتع الرجل بالدهاء السياسي والمهارة في حياكة المؤامرات، حتى ترأس الشعبة الثانية وأصبح رجل الأمن الأول في النصف الأول من الخمسينيات، وتمكّن لاحقاً من جمع خيوط اللعبة السياسية في يده خلال أعوام 1955–1961. ووظّف مكره ودهاءه لتأسيس دولة أمنية بوليسية، خنقت الحريات العامة في سورية ما بعد الاستقلال، وأجهضت التجربة البرلمانية الديمقراطية في مهدها. ثم نال ثقة جمال عبد الناصر بشكلٍ لا يقبل الجدل، فسيطر على الأمن الداخلي، كوزير للداخلية في الإقليم الشمالي لدولة الوحدة، ثم تولى منصب نائب الرئيس ناصر للإقليم نفسه، وتحكّم بالمخابرات وأجهزة الاقتصاد، وبالتنظيم السياسي الوحيد إبان عهد الوحدة (الاتحاد الاشتراكي)، ليصبح أقوى رجل في سوريا بأكملها. وأكثر من ذلك، وأبعد من حدود الدولة، يتذكر بعض الأردنيين واللبنانيين والعراقيين بأن للرجل أيادي طولى تغلغلت في بلدانهم، وطاردت خصومه هناك بالتعاون مع الأجهزة الأمنية فيها..

وبالرغم من أنه كان يقف وراء غالبية الانقلابات التي حدثت في سورية بعد الاستقلال، إلا أنه وقع أخيراً ضحية لها، حين قاد عبد الكريم النحلاوي في 28 أيلول 1961 الانقلاب على عهد الوحدة. وكما هي العادة بعد كل انقلاب، تمّ اقتياد المسؤولين السابقين إلى السجون، فكان من نصيب السرّاج سجن المزّة الشهير. لكنه لم يدم طويلاً فيه فتم تهريبه بعد فترة وجيزة برعايةٍ تامّةٍ من «الريّس. عبد الناصر» الذي أصرّ، ابتهاجاً بتحرير ظله السوري، إلا أن يتناول معه وجبة الإفطار في منشية البكري بالقاهرة، التي وصل إليها السرّاج صباح اليوم التالي لهروبه.

ثنائيّة الفساد والقمع

يشير غسان زكريا، عديل السراج ومؤلف أشهر كتاب عنه، إلى أن السراج كان يقوم ببثّ جواسيسه لمراقبة اجتماعات الضباط السوريين المشكوك في ولائهم للوحدة، ومراقبة الأنشطة السياسية والاجتماعية، واعتقال المشتبه بهم، والضرب بيد من حديد وبقسوة... وأنه أصدر تعليماته بعدم السماح لأي مواطن بمغادرة الأراضي السورية إلا بعد الحصول على «تأشيرة خروج» أو إذن سفر، فحوّل البلاد سجناً كبيراً. وأتبع ذلك بسياسةٍ اقتصاديةٍ موجّهة، حدّدت الاستيراد ومنعت الكثير من المواد الكمالية، فتفشت ظاهرة التهريب من بيروت، التي كانت تحافظ على نظامها الاقتصادي الحر... وبدأت تتشكل عصابات تهريب منظمة حماها بعض ضباط الاستخبارات على مرأى ومسمع السراج، الذي كان يقف في الناس داعياً إلى حماية الاقتصاد الوطني! بينما كان يسمح لنفسه بأن يرسل سيارته البويك الخمرية في ساعات الفجر الأولى إلى بيروت لتعود مليئة بكل نفيس وثمين...

ومن جهةٍ أخرى، يذكر الباحث أن وجيه أنطكلي، أحد رجال السراج، حين اعتقد أن زعيم الحزب الشيوعي اللبناني فرج الله الحلو، الذي لاقى أبشع أنواع التعذيب، قد فارق الحياة؛ أقدم على نشر رجل السجين بمنشارٍ حديدي كي يتسنى تذويب الجثة حسب الخطة... فصحا الحلو من غيبوبته من شدة الألم وصرخ متوسلاً، إلا أن أنطكلي انهال بالمنشار على رأس الرجل حتى تأكد من موته، وعاد لإكمال تقطيع جسده بالمنشار، ثم صبّ الأسيد على الجسد المقطّع، وألقى العناصر محلول الجثة في نهر بردى.

صراعٌ طائفيٌّ أم طبقيٌّ بين شبّيحة حمص؟

حسيب عبد الرزاق

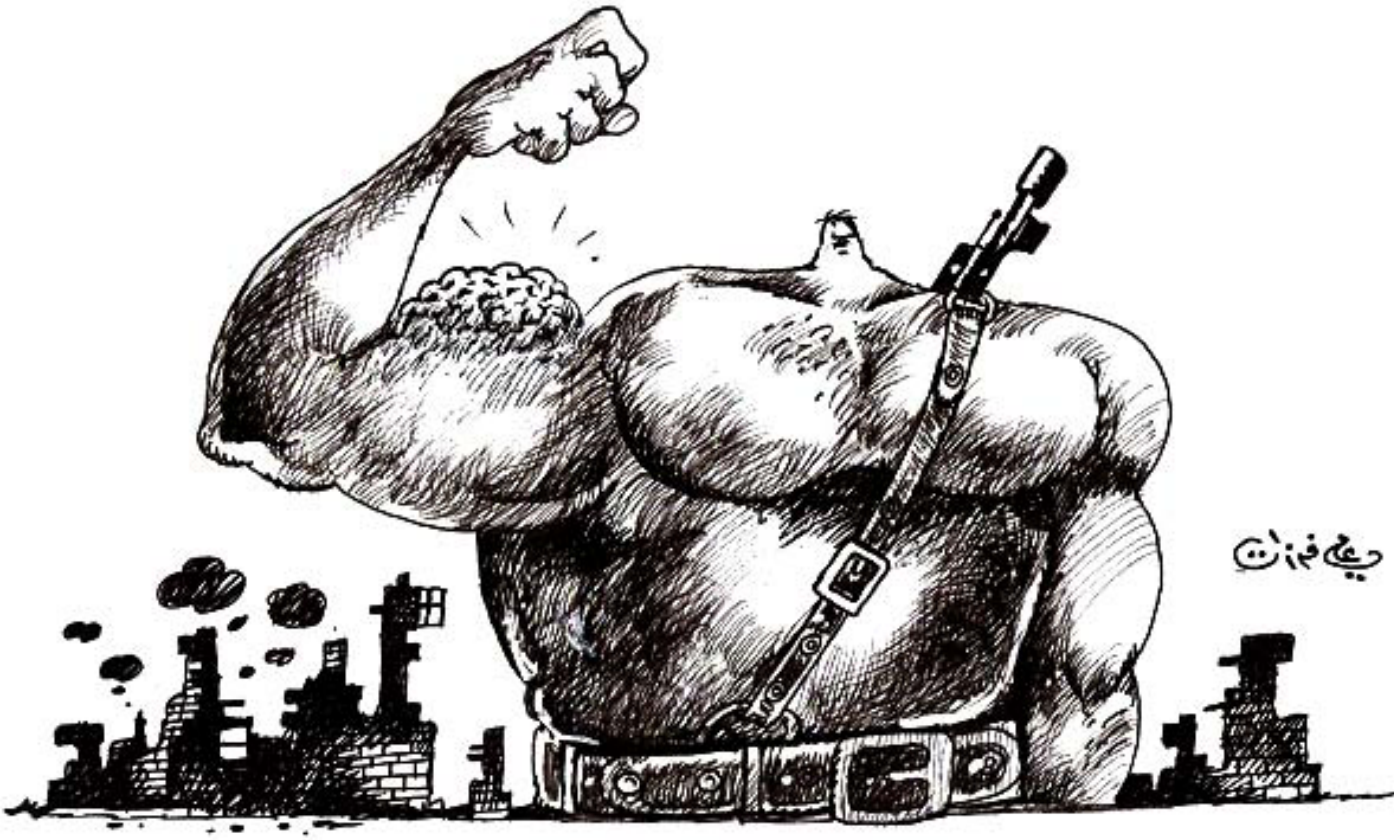

يقع حاجز الإنشاءات في قلب مدينة حمص. ويلقبه أهلها بحاجز "أبو سومر"، نسبةً إلى نقيب علوي كان مسؤولاً عن هذا الحاجز، أشرف على اعتقال شباب الحيّ في الأشهر الأولى من عمر الثورة، حين لبّى أهل حي الإنشاءات الراقي نداء أهل حي بابا عمر المجاور غربي المدينة. وعُرف عن "أبو سومر" كرشه الناتئ، وشرب الكحول في كل الأوقات، حتى عند الظهيرة وهو يقوم بجولةٍ تفقديّةٍ للغنائم التي حصل عليها عناصر الحاجز، من موبايلاتٍ ونقودٍ ومحافظ جلديةٍ وبطاقاتٍ شخصيةٍ (مكسورة) يمكن من خلالها ابتزاز صاحبها في أي وقت، بعد أن يترك عنوان منزله بين أيدي الشبيحة على أمل استرجاعها بعد التحقق من أنه ليس إرهابياً. لكنهم، في الغالب، إما أن يداهموا منزله ويعتقلوه في مكانٍ غير معلوم، أو يطلبوا المال مقابل إعادتها إليه مكسورةً كما هي. وإن لم يكن يملك المال فإن أثاث البيت يصبح ضمن لائحة المصادرة.

آخر مآثر "أبو سومر" كانت في شهر رمضان، حينما أجبر أحد المدنيّين من أهالي الحيّ، وهو موظفٌ في شركة الكهرباء، على شرب زجاجة كحولٍ

كاملة، تعبيراً عن "اللحمة الوطنية" بين العلويين والسنّة، التي تحدّث عنها الموظف المسكين كي ينفد بريشه. ولم تفلح كل محاولات الموظف في إقناع النقيب بأنه صائمٌ، ولا يمكنه أن يشرب الكحول على معدةٍ خاوية. ولكن "أبو سومر" أجبره على ذلك، ثم أطلق من مسدسه رصاصة ثقبت يد "نديمه" لأنه لا يملك مالاً ليدفعه ثمناً لزجاجة الكحول. ولكن "أبو سومر" لم يستطع أن يستمر في زعامة حاجز الإنشاءات بعد أن تعرّض، بالطريقة ذاتها، لمدنيٍّ آخر يسكن في الحيّ. فهذه المرة لم يكن الضحية سنّي المذهب مثل سابقه المسكين، بل كان إسماعيلياً من أهالي مدينة السلميّة، يدرس في كلية الآداب بحمص. وكان شقيقه ضابطاً في الفرقة العاشرة بدمشق، وقد حضر على الفور بعد أن علم بما جرى لشقيقه، وبحث عن "أبو سومر" واجتمع به في إحدى السهرات بحي عكرمة الموالي بغالبيته للنظام، فأشهر مسدسه وأفرغ طلقتين في الكرش الناتئ انتقاماً لأخيه، قبل أن يقتله أحد أقرباء النقيب.

←

فرح أهل الحيّ حينما اكتشف أحد الناشطين مؤخراً أن "أبو سومر" قتل على أيدي ثوار الرستن. وقد نشرت صوره مقتولاً على صفحة (شبكة حي عكرمة) على الفيسبوك، وتم سحبها على الفور بناء على طلب أخوته الشبيحة. ولكن حاجز الإنشاءات لم ينسَ فضائل هذا النقيب "المانع" و"البطل". فإكراماً له، قام عناصر الحاجز بدفن ثلاثة شباب لم يتجاوزوا العشرين من العمر وهم أحياء، فقط لأنهم ينتمون إلى عائلاتٍ عريقةٍ في حمص!

❖❖❖

ولحاجز دوّار المواصلات قصةٌ مختلفة، فهو يتمتع بموقع استراتيجي شرقي المدينة، فهو متاخمٌ لحيّ الزهراء (عاصمة الأحياء العلوية الموالية في المدينة، و"يعمل" قسمٌ كبيرٌ من أهله في الأجهزة العسكرية والأمنية)، ويفصل الحيّ عن الضفة الأخرى من المنطقة التي تضم حي المهاجرين العلوي والأرمن المسيحي.

فإذاً، يفصل هذا الحاجز بين أحياءٍ تسكنها أقليات، علوية ومسيحية، ولا وجود للسنّة في هذه المنطقة، بعد نزوح جماعيٍّ للعائلات البدوية عنها في الأشهر الأولى للثورة، منذ حادثة هجوم جماعة عرب فدعوس على الحيّ، وإطلاق النار على منزل شيخ عشيرتهم، العضو في مجلس الشعب، لتواطئه مع الأسد ضد أهل حمص.

كانت شرارة الاقتتال بين الأقليتين، عند هذا الحاجز، من أجل أسطوانة غاز كبيرة الحجم نهبها أحد الشبيحة من محلات "السنّة" في جورة الشياح، وجلبها إلى مزاد "سوق السنّة" في حي الزهراء، فاشتراها رجلٌ مسيحيٌّ من سكان حي الأرمن بـ 10 آلاف ليرة، ليضعها في محلٍ لبيع الفلافل بحي المهاجرين المجاور. وبالصدفة يدخل الضابط "أبو ظافر" إلى هذا المحل ليشتري سندويشات الفلافل لعائلته، فيرى الأسطوانة ويكتشف أنها مسروقة من مستودعه الخاص بـ "الغنائم" التي يكسبها من مداهماته اليومية في الأحياء الراقية في حمص، ويجنّ جنونه، ويقسم لصاحب المحل إن الأسطوانة له وقد سرقها أحد عناصره من المستودع دون علمه. وبين أخذٍ وردٍّ ترتفع النبرة ويشهر الضابط مسدسه مهدداً، فيتجمهر الناس ويتدخل أحد أقارب صاحب المحل واضعاً مسدسه في رأس الضابط، لتنتهي المشاجرة بأن يطلق الضابط النار على بائع الفلافل، ويغادر حاملاً كيس السندويش الذي كان المقتول قد أعدّه!

❖❖❖

لا تنتهي المشاجرات والصراعات بين الشبّيحة، طالما أن الجشع موجود، والمزاودات على الانتماء للوطن وحب القائد لا تنتهي. وقد شهد حاجز الوعر، عند دوّار المهندسين الذي يقطنه 600 ألف نازح، مشاجرةً من نوع خاص، نشبت بعراكٍ بالأيدي بادئ الأمر بين جنود الوطن، بزعامة شبّيح ينتمي إلى آل "ميهوب" بحي عكرمة، وبين شبّيح وطنيٍّ آخر ينتمي إلى آل "شبيب" من سكّان حي الزهراء. ويمثّل هذان الحيّان طبيعة الصراع الطبقي الكامن بين أفراد الطائفة العلوية في حمص، فهم يكنّون العداء لبعضهم البعض منذ عقود. فحيّ عكرمة أكثر احتكاكاً مع "السنّة" من سكان حمص الأصليين، حتى أن لهجتهم الريفية بدأت تندثر لحساب اللهجة الحمصية، بعد أن تخلوا في العقد الأخير عن لفظ حرف القاف الشهير. وقد سمحوا للاستثمارات والتجارة "السنّية" بدخول حيهم، ويعتبر الحي منطقة ثانية من حيث التطور والتخديم في المدينة، بينما بقي حي الزهراء محافظاً على أصالته الريفية، ولا يسمح أهله بأي شكلٍ من الأشكال بافتتاح محال تجارية لغير "العلوي".

سبب المشاجرة بين الشبّيحين هو اختلاف وجهات النظر بينهما حول السماح بعبور امرأةٍ تنتمي لعائلةٍ سنّيةٍ محافظة، خرج منها الكثير من الناشطين، ومن ضمن أفراد عائلتها وأبناء عمومتها الكثير من المعتقلين والمطلوبين للأمن، إلا أنها زوجة رجلٍ "يحتلّ" منصباً إدارياً رفيعاً في دمشق، بعد أن عمل في الحقل الدبلوماسي، وهو نسيبٌ لأحد الضباط في القصر.

انتهت المشاجرة بإطلاق النار على الشبّيح البراغماتي ذي الانتماء لحيّ عكرمة، إذ لم يحتمل ابن الزهراء، رفيقه في السلاح وحب الوطن، أن يدَعَ امرأةً "سنّية" تعبر الحاجز دون أن تتعرض للإهانة على أقل تقدير!

حزب الله.. لا مرحباً بك في أوروبا

ميشيل عيسى | روما

يتخوّف الإيطاليون من زيارة مبعوثي حزب الله إلى أوروبا، في رحلةٍ تبدأ في كالياري الإيطالية، ولا أحد يعلم أين تنتهي، بهدف توطيد العلاقات بين الجانبين.

ويأتي هذا التخوّف بعد أن انفرد التلفزيون الوطني الإيطالي بمقابلة الأسد وبثّ ترهاته إلى العالم الأسبوع الماضي، مما قد يزيد الغضب على التوجهات السياسية للحكومة. بل وكان اكتفاء الاتحاد الأوروبي بإدخال الجناح العسكري للحزب ضمن لائحة الإرهاب. منذ مدة. محطّ استغراب وتساؤل الكثيرين، فالجناح السياسي يعمل دوماً لصالح العسكري في أي منظمة إرهابية. وخصوصاً في هذه الحالة، إذ يعدّ الحزب عصابةً إجراميةً على مستوى العالم. ففي قبرص، منذ عدة أشهر، تم القبض على المواطن اللبناني حسام يعقوب، الذي ثبت أنه يعمل لصالح الحزب، بعد أن عثر عليه متلبساً بجواز سفر سويدي مزوّر وملايين الدولارات، كما ثبت ارتباطه بمجموعة علاقاتٍ قذرة مع شبكة موزعي المخدّرات في الجزيرة. مما أعاد إلى الأذهان اعتقال حرس المطار في فرانكفورت مواطنَين لبنانيين عام 2008 وبحوزتهما أكثر من 7 ملايين يورو عائدة من تجارة الكوكايين، والذي تلاه عام 2009 تصريح الأميرالاي جايمس ستافيديس . قائد العمليات البحرية الجنوبية في الأسطول الأمريكي . بأن حزب الله يسيطر على أضخم خطٍ لتهريب المخدرات من أميركا الجنوبية حتى أوروبا، مروراً بشمال أفريقيا والشرق الأوسط. واسترجع القائمون على رفض الزيارة تحقيق الإف بي آي عام 2005، والذي يفيد بأن حسن حدرج، عضو اللجنة الاستشارية في الحزب، يتعامل مع أكبر مصنع لتزوير العملات العربية والأجنبية في الشرق الأوسط، والموجود في قضاء بعلبك. كما يوفّر المصنع جوازات سفر مزوّرة لتسهيل مهمات عملائه في سفرهم حول العالم. وإنّ تجاهل الجناح السياسي سيضمن لممثلي الحزب حرية الانتقال في أوروبا بسهولة، بغية تمويل نصر الله وإنجاح عملياته في قلب سوريا الثائرة على نظام حليفٍ له ولإيران على حدٍّ سواء.

عمار الموسوي ورايموندو سكيافوني. موقع وورد برس الإيطالي

وبناءً على ما تقدم، تسعى منظماتٌ أهلية ونشطاء في المجتمع المدني إلى كشف خفايا زيارة عمار الموسوي مسؤول السياسة الخارجية للحزب، وعبد الله قصير مدير قناة المنار، في الرابع من تشرين الأول، والتي تستمر ليومين، يستقبلهما فيهما المدعو رايموندو سكيافوني، مدير مركز الصداقة الإيطالية العربية في جزيرة كالياري. ويُذكر أنّ القناة استضافت الأخير مراراً على أنه منحبكجي أوروبي مولع بالثقافة العربية والإسلامية، ليدافع عن مجازر الأسد وشرور إيران وإرهاب حزب الله.

مجلة عين المدينة | نصف شهرية سياسية متنوعة مستقلة
- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.
فيس بوك facebook.com/3aynAlmadina
تويتر twiter.com/3aynAlmadina
www.3ayn-almadina.com | info@3ayn-almadina.com

مرهف المضحي: ولد في دير الزور 1988 – استشهد في 28 أيلول 2013

من صوره لوكالة الصحافة الفرنسية

تشييعه